الوظيفة الاخيرة

شهد مراد

عند سماعي لكلمة حرية تلوح في ذهني كلمات عدة اولها حق ,ومطلب وضرورة حياتية لا تستقيم حياة الفرد دون حضورها ,فالحرية من وجهة نظري هي ان يعمل الشخص ما ابتغى وان لا يكون عاجزا عن اتخاذ قرارته بنفسه دون ارغام ومجردا من القيود التى تجبره على تمثيل اي شخص اخر سوى نفسه مع تحمله لتبعات اي قرار يتخذه كان صحيحا ام خاطئا, الحرية ان لا تكون عبدا لشخص او بيئة والاهم من ذلك لفكرة فالافكار عندما تستعبد الشخص تخرجه من كينونته وهذا هو الخطر الحقيقي على الفرد وعلى المجتمع , مع قناعتي التامة باستحالة وجود الحرية المطلقة التي يدعي بها البعض لعدة اسباب اهمها الخروج عن السيطرة والخروج عن اي حدود وهو ما وضحه المفكر جون لوك عند وصفه لحالة الطبيعة فالحرية كانت مسيطرة على الافراد والقانون هو العقل لا غير وهنا لا نستبعد ان يكون الشخص مجنونا وان يستولي شخص اخر على ممتلكات غيره ولما فيها من سلبيات على جميع الافراد في المجتمع ولضرورة وجود حالة مدنية ووجود قوانين شرطها الاساسي حماية حقوق الافراد دون التعدي على احد ولضمان حقوق الملكيات بشكل قانوني لهذا الحرية الصحيحة بنظري هي التي يكون فيها القانون مساندا لا معاكسا لها, رأينا تطرقا لموضوع الحرية ايضا في كتابات ماركس الذي رفض الراس مالية لانها لا تعبر عن الحرية فمن وجهة نظره تكدس الثروات وادوات العمل في يد فئة قليلة منها وباقي الشعب يعمل لديهم في الظروف الصعبة والقاسية والدموية حتى , فالعمال هنا خرجوا من استعباد النظام الاقاطاعي الى استعباد اصحاب العمل المستعبدين . لكن ان تنادي بالحرية لا يعني ان تدعمها مثلا مفكر اخر وهو ميل الذي لم ينكف الى ذكر الحرية في كتاباته ومن ضمنها حرية اختيار اسواق العمل ودعمه للراس مالية ,حسنا اليست الراس مالية قائمة بشكل اساسي على نهب خيرات الدول الفقيرة وعلى استعمارها واخذ ثرواتها من دهب وفضة واراض .اذا عن اي حرية يتحدثون ؟

الحرية سبب في نهضة المجتمعات وتقويمها خاصة المجتمعات الشرقية بداية من مفهوم حرية التعبير عن الراي والتي هي حق لكل الاشخاص بقول رايهم السليم وايصال افكارهم بطريقة واضحة وصحيحة التي لا تعترف بها اغلب المجتمعات المشابهه لمجتمعي فلا تستطيع التعبير عن نفسك او قول رايك حتى ولو كان من اجل التحسين عندها ستقابل بسياسة تكميم الافواه التي تتبعها المجتمعات الخائفة من النهضة والمتأقلمة مع حالها والمصنفة ضمن دول العالم الثالث فالحرية هنا تعبير مشوه لا يعكس واقعا فهناك من يناضلون من أجل الحرية وهناك من يطالبون بتحسين شروط العبودية .

الحرية دافع للحياة ,فما الهدف من وجودك ضعيفا هائما على وجهك بسبب السلطات ايا كانت من نفسك على نفسك او من المحيطين بك ,ان تضع اهدافك وانت متيقن من حدوثها مع الجهد اللازم, ان تقوم ببناء رأيك دون تجمع المطارق فوق رأسك لهدم أحلامك, ان تسعى للتطور وان تشكل افكارك الخاصة دون ان تتوارثها وتسير على نهجها كما هي بنفس الجمود ,وهنا لا اقصد هدم كل معايير مجتمعك او بيئتك فنرى اشخاصا كثر يتلونون بالوان الحرية الخادعة ان تتبرأ من عاداتك وتقاليدك الغير منافية لأي مبدأ من مبادئ هذا الشخص فقط لكونه يقلد بعض دعاة الحرية.

وكشخص فلسطيني أعيش تحت حكم المحتل فلا حرية لوضع قوانيننا أصلا اي لا وجود لحكم ذاتي فلسطيني على أرض فلسطين المحتلة ,الحرية بالنسبة لي هي حبة برتقال من يافا والشروق من بحر عكا وصلاة في المسجد الأقصى جميعها أشياء بسيطة لا يتملكها الفلسطيني هي أحلام يحلم بها ,الحرية هي السير في بلادك دون حواجز دون ان يتم تهجيرك من بيتك قصريا دون ان يتم اعتقالك بدون اسباب دون ان يتم ضربك لانك تدافع عن منزلك فماذا تعني الحرية لشخص يعيش في المخيم

واتماما لما سبق اؤكد على ان الحرية حق اصيل لا يمكن المساس به ويستحق بذل كل غال ونفيس من اجل صون هذا الحق وادامته .